

الإعجاز التشريعي في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدكتور / محمد موسى الشريف

أستاذ جامعي، وكاتب، متخصص في علم القرآن والسنة

Abstract:

ملخص :

This article highlights the importance of the field of legislative miracle care in the Book of Allah and the Sunnah of the Messenger of Allah, peace be upon him, and the need to search in the authentic divine legislation that should be resolved today to replace those inflows of foreign legislation that swept the Muslim societies; and it shall open the door of Ijtihad in this fertile area and concerted efforts between researchers to demonstrate his command and control rules, making studies of comparison between the aspects of legislation in Islam and other legislations under the supervision of multidisciplinary scientific specialists of intellectuals, scholars of Sharia, Culture lawyers, human rights and others.

Keywords:

Quran, The Sunnah, Ijtihad, Sharia, comparison between legislation in Islam and other legislations.

يسلط المقال الضوء على أهمية العناية بمجال الإعجاز التشريعي في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرورة البحث في التشريعات الربانية الأصيلة التي ينبغي أن تحل اليوم محل تلك التشريعات الأجنبية الوافدة التي اجتاحت مجتمعاتنا المسلمة، وعليه وجب فتح باب الاجتهاد في هذا المجال الخصب وتظافر الجهود بين الباحثين والمتخصصين لبيان أمره، وضبط قواعده، والتأليف حول موضوعه، وإنجاز دراسات مقارنة بين جوانب التشريع في الإسلام وعند الأمم الأخرى تحت إشراف هيئة علمية متعددة التخصصات تضم في صفوفها المفكرين وعلماء الشريعة والثقافة والاجتماع والقانونيين والحقوقيين وغيرهم.

كلمات مفتاحية:

القرآن، السنة، باب الاجتهاد، مقارنة التشريع في الإسلام وعند الأمم الأخرى.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الإعجاز التشريعي في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو من أهم أنواع الإعجاز التي ينبغي العناية بها وبينها في هذا العصر الذي تولى الريادة فيه -في الجوانب الفكرية والثقافية والتشريعية- قوم ماديون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يعنون بأي شيء سوى المحسوسات، فقد ولوا كل جوانب الغيب ظهورهم، وجعلوها دبر آذانهم.

ثم إنهم أنشأوا تشريعات كانت نتيجة أفكارهم البشرية، وغاية علمهم في هذه الحياة الدنيا، فجاءت تلك التشريعات قاصرة عن الوفاء بالمراد قصر علومهم، وفاسدة في عدة جوانب فساد تفكيرهم، والعجب لا ينقضي أنهم بعد ذلك ألزموا بها كل من وقع تحت سلطانهم، فصار الناس يُحكمون بهذه التشريعات الناقصة المبتورة، فحسبوا أنها غاية العلم وقمة الفهم وقصارى ما يمكن أن تصل إليه البشرية. وكان من ابتلي بهذه التشريعات المسلمون -ويا للعجب- الذين خاطبهم الله تعالى بقوله: {الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، فكيف يتروكون التشريع الكامل إلى هذا الغناء البالي؟ وكيف يجحدون نعمة ربهم بإكمال الدين ويتهانون في العمل بتلك الشريعة الكاملة؟ إنا لله وإنا إليه راجعون فهو القائل: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. واليوم نحن نقطف ثمار صحوة جلييلة أوجدت تغييراً عظيماً في النفوس والعقول، وهب كثير من الناس يريدون العودة الشاملة إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فاستمسكوا بحبل الله تعالى، وبذلوا جهدهم في إقناع كثير من الناس بعظم وجلال التشريعات الربانية التي ينبغي أن تحل اليوم محل تلك التشريعات الوافدة الفاسدة، وكان مما صنعه علماء الإسلام ومفكروه بيان الإعجاز الجليل في تلك التشريعات الربانية، وألفت كتب كثيرة في هذا الباب.

وقد اختلفت أقطار العلماء في هذا النوع من الإعجاز، فمنهم من يقتصر في الإعجاز التشريعي على أحكام العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، وهم العدد الأكبر، ومنهم من يرى أن الإعجاز التشريعي يتعدى هذا إلى تناول العقيدة والإيمان والإحسان وغير ذلك من جوانب الإسلام، وعلى رأس هذا الفريق شيخنا الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد (1) -حفظه الله تعالى ونفع به- وقد ألفت في هذا مصنفات نافعة لكنه مفتقر للأمثلة ومزيد من التعميد والبيان على جلالته ورفعة قدره (2)، لكن المسألة مهمة وينبغي تظافر الجهود لبيانها وضبط قواعدها.

ولقد أكثر العلماء في الماضي والحاضر الحديث عن جوانب من الإعجاز التشريعي وبيان حكمه التي لا تنقضي، لكنني أظن أن هذا النوع من الإعجاز مفتقر إلى خمسة أمور مهمة:

- بيان مداه وما يشمله، وبمعنى آخر وضع تعريف له يبيح الخلاف بشأنه، ويرفع الأشكال في فهمه، وكتابة مؤلف جامع في هذا، وهو عمل ينبغي أن تتولاه هيئة عليا لإتمامه؛
- المقارنة الجادة بين بعض جوانب التشريع في الإسلام وجوانب التشريع عند الأمم الأخرى، وهذا عمل لم أره للأقدمين على وجه الإحاطة أو التوسع، واجتهد فيه بعض المحدثين (3)، لكن هذا من الأعمال الموسوعية التي ينبغي أن تلتقي فيها جهود رجال تشريع عطاء من الشرعيين والقانونيين والحقوقيين وعلماء الفكر والاجتماع والثقافة؛

- عرض هذا الإعجاز التشريعي العظيم على جماهير المسلمين لتزداد إيماناً بجلال هذا الدين وعظم تشريعاته ولتطالب ساستها بالحكم بهذه التشريعات العظيمة؛
 - دعوة غير المسلمين إلى النظر في جلال هذه التشريعات وإعجازها، وصلاحياتها لحل كل المشكلات التي يعانون منها في مجتمعاتهم، وهذا باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى وجذب القوم إلى هذا الدين العظيم؛
 - عقد مؤتمرات عالمية تُعنى بجمع علماء التشريع في العالم وعرض ما في كتابنا العظيم وسنة نبينا الكريم من تشريعات هم بأمس الحاجة إليها لإنقاذ مجتمعاتهم من الهوة السحيقة التي سقطت فيها.
- وذلك لأني أزعّم أن الإعجاز التشريعي لم يوف حقه، وأن الجهود في بيانه والعناية به ضحلة للغاية، بل هو الإعجاز اليتيم الذي لم يجد من يرعاه ويقوم به إلى الآن.

المراجع:

- 1- أحد كبار دعاة الإسلام في زماننا هذا، وهو مصري من مواليد سنة 1931/1350، وتدرّج في سلم التدريس حتى صار أستاذاً في جامعة الأزهر، ودرّس في عدة جامعات، له عدة مصنفات نافعة، ومحاضرات كثيرة مسموعة ومرئية.
- 2- رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر سنة 1975/1395 بعنوان "منهج التشريع في القرآن الكريم".
- 3- انظر مثلاً- ما فعله الشيخ محمد أبو زهرة في مقال "شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله" مجلة المسلمون العدد الأول السنة الأولى ص32، وكتابه "المعجزة الكبرى": 385، والدكتور محمد يوسف موسى في كتابه "التركة والميراث في الإسلام"، وهناك كتب عديدة ألفها علماء ومثقفون في المقارنة بين حال المرأة في الإسلام وحالها في النظم الوضعية القديمة والحديثة من حيث التشريع.